دَورُ الأديانِ في إرساء السَّلامِ
ومواجَهةِ العُنفِ والكراهيةِ
مارتن يونجه(*)

أصحابَ النِّيافةِ، أصحابَ السِّيادةِ والسَّعادةِ، شُركاءَ الحِوارِ الموقَّرين... دَورُ الأديانِ فى إرساء السَّلامِ

بادئَ ذي بَدءٍ، أوَدُّ أن أُعرِبَ عن فَرَحي في هذه اللَّحظةِ لإجراءِ حِوارٍ ومُناقَشاتٍ حَولَ الأديانِ بُغيةَ مُعالَجةِ قَضيَّةٍ تُمثِّلُ قلقًا للأُسرةِ البشريَّةِ بأكملِها -ألا وهي قضيَّةُ السَّلامِ-.

وأوَدُّ أن أُنوِّهَ لحُضور فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الدُّكتورِ أحمدَ الطَّيِّب -من جامعةِ الأزهرِ فى مِصرَ- رئيسِ مَجلسِ حُكماءِ المُسلِمينَ، وأُشيرُ إلى أنَّ تواصُلَكم وعزمَكم على المجيءِ بوفدٍ إلى المَركزِ المسكونيِّ فى جِنيف للجُلوسِ معنا ومُناقَشةِ قضيَّةِ السَّلامِ يُمثِّلُ حافزًا كبيرًا.

نحنُ قادِرونَ معًا بصفتِنا مُمثِّلينَ للأديانِ التي -مهما اختلفت آراؤها- تُركِّزُ بالإجماعِ على قضيَّةِ السِّلامِ الذي يُعتبَرُ صَميمَ تقاليدِنا الدِّينيَّةِ الخاصَّةِ؛ لأنَّ السَّلامَ هو رؤيةُ اللهِ للإنسانيَّةِ بأسرِها.

هكذا تتحدَّثُ تقاليدُنا عن السَّلامِ، وهكذا يجب تحدُّثنا أيضًا عنه.

أمَّا واقِعُ الأمرِ فعليًّا؛ فإنَّ النُّصوصَ المُقدَّسةَ تؤكِّدُ على السَّلامِ، وتدعو المؤمِنينَ مِرارًا وتكرارًا إلى العَيشِ السِّلميِّ، وتَكشِفُ عن حقيقةٍ مفادُها: أنَّه -من خِلالِ أعيُنِ الإيمانِ- لا يُمكِنُ إلَّا أن نُقِرَّ بصِدقِ أنَّ رِسالةَ السَّلامِ موجَّهةٌ للأجناسِ البشريَّةِ التي تَملِكُ داخلَها القُدرةَ على الصِّراعِ، وفي ظِلِّ ظُروفٍ مُعيَّنةٍ تُعبِّرُ عن مَيلِها في شكلِ عُنفٍ واضحٍ.

لَيسَ من الإنصافِ أن نقولَ بأنَّ هُناك دياناتٍ مُعينَّةً تحتكِرُ السَّلامَ وأُخرى تحتكِرُ العُنفَ، ولَيسَ من المُنصِفِ أيضًا القَولُ بأنَّه يوجَدُ أيُّ مؤمنٍ في أيٍّ من التَّقاليدِ الدِّينيَّةِ في عالَمِنا لا يقعُ تحتَ هذا التَّناقُضِ للطَّبيعةِ البشريَّةِ.

بمَقدورِنا قَولُ أجملِ التَّعابيرِ في الفنِّ والجَمالِ والحُبِّ والرِّعايةِ، ولكن أيضًا بوُسعِنا فعلُ أشدِّ أنواعِ العُنفِ المقيتةِ والكُرهِ والقمعِ، ويُميِّزُ هذا التَّناقُضُ المسيحيِّينَ والمُسلِمينَ واليهودَ والبوذيِّينَ والهِندوسَ والزَّرادشتيِّين -سَمُّوا ما شِئتم- هذا لَيسَ بسببِ الانتماءِ الدِّينيِّ، ولكن بسببِ أحوالِ البشرِ.

يبدو أنَّنا نعيشُ مرَّةً أُخرى في فترةٍ من التَّاريخِ البشريِّ تتسارَعُ فيها وتيرةُ التَّغييرِ وتتقلَّبُ الكِياناتُ، والضَّغطُ على الأفرادِ والمُجتمَعاتِ يؤدِّى إلى تفاقُمِ الصِّراعاتِ والعُنفِ والنِّزاعاتِ.

نحنُ نعيشُ في عصرِ التَّقسيماتِ!
لقد استطاعت المُجتمَعاتُ التي سبقتنا أن تتعايشَ بسلامٍ مع الصِّراعاتِ، ولكنْ ما هكذا الحالُ في الأدواتِ السِّياسيَّةِ -مِثلُ الأُممِ المُتَّحِدَةِ- والكِياناتِ الإقليميَّةِ -مِثلُ الاتِّحادِ الأوروبيِّ- فهي كلُّها تتصارَعُ، وأمامَها وقتٌ عصيبٌ للتَّكيُّفِ على العملِ سويًّا، ونرى الخُطَبَ المُفعَمةَ بالكراهيةِ تتزايَدُ، وخُضوعَ الزُّعماءِ السِّياسيِّينَ لحُكمِ الأغلبيَّةِ الذي يُهمِلُ مبدأَ الدِّيمُقراطيَّةِ الأساسيَّ في حِمايةِ مواطَنةٍ عادلةٍ للجميعِ، وفيما يبدو أنَّه رِحلةُ اغترابٍ بلا عودةٍ- نرى أحيانًا التَّواصُلَ يتفكَّكُ، والمُجتمَعاتِ تنعزِلُ وتنجرِفُ بعيدًا عن بعضِها البعضِ.
فما مَوقِفُ الدِّينِ من كلِّ هذا؟
أعتقِدُ أنَّ وجودَنا معًا هُنا هو تعبيرٌ عن هذا الواقعِ -إصرارُنا بالإجماعِ على عدمِ الانحرافِ عن رِسالةِ السَّلامِ- وأعتقِدُ أنَّنا نملِكُ الثِّقةَ الكافيةَ للاقتناعِ بأنَّ تقاليدَنا الدِّينيَّةَ تتحدَّثُ بشكلٍ كبيرٍ عن حياتِنا وعالَمِنا من أجلِ إعطائنا الأساسَ والقُوَّةَ لمُقاوَمةِ اتِّجاه التَّقسيمِ والعُنفِ وتفكيكِ التَّواصُلِ.
أعتقِدُ أنَّنا نَفهَمُ دَورَنا اليَومَ، ألا وهو التَّصدِّي دينيًّا ضِدَّ الرَّسائلِ والمَواقفِ والأفعالِ التي تُعارِضُ فِكرةَ السَّلامِ للبشريَّةِ جمعاءَ.
ما الذى يتطلَّبُه الأمرُ من النَّاحيةِ العمليَّةِ لعَرضِ هذه الشَّهادةِ فى عالَمِنا؟
دعوني أعرِضُ بعضَ وِجهاتِ النَّظرِ هُنا:
١- بالرَّغمِ مِن أنَّ هذا لَيسَ الاجتماعَ الأوَّلَ الذي يُناقِشُ قضيَّةَ السَّلامِ ودَورَ الأديانِ في دعمِ السَّلامِ في عالَمِنا، وبالرَّغمِ من أنَّني أعتقِدُ أنَّ هُناك المزيدَ من الاجتماعاتِ القادمةِ؛ فإنَّني أوَدُّ أن أدافِعَ عن أنَّ وجودَنا سويًّا -على مدارِ يَومَينِ- مُهِمٌّ وله مغزًى، ومعنى أن نظلَّ فى حِوارٍ هو -في حدِّ ذاتِه- خطوةٌ مقصودةٌ لتحقيقِ التَّوجُّهِ السِّلميِّ في أديانِنا وتجنُّبِ الانحرافِ نحوَ مَواقِفَ مُعارِضةٍ.
٢- وبالرِّغمِ من ذلك نعلمُ أيضًا أنَّ مِثلَ تلك الاجتماعاتِ لن تُقدِّمَ اتِّجاهًا فيما يتعلَّقُ بالأفعالِ التي يجِبُ اتِّباعُها وأنَّنا لن نُفلِحَ، وقد يؤدِّي ذلك إلى الاحباطِ فى النِّهايةِ -بدلًا من حثِّ الشُّعوبِ على توجيه زعمائها، ومن الأمل-.
٣- فيما يلى أوَدُّ أن أُقدِّمَ بعضَ مساراتِ العملِ المُمكِنةِ:
- قدِّم الحِمايةَ:
بالنَّظرِ إلى كلِّ أشكالِ العُنفِ التي انتشرت اليَومَ أعتقِدُ أنَّه من الواجبِ حِمايةُ البشريَّةِ في الظُّروفِ الأكثرِ تقلُّبًا -لا سيَّما إذا كان هُناك خطرٌ من الوقوعِ فريسةً لأيٍّ من أنواعِ العُنفِ الطَّائفيِّ بما في ذلك ما وراءَه دوافِعُ دينيَّةٌ.

إنَّني مُقتنِعٌ بأنَّ التَّجارُبَ مِثلَ مَركزِ مُراقَبةِ العُنفِ بينَ الأديانِ الذي أُنشِيءَ مؤخَّرًا في شمالِ نيجيريا، والذي يضُمُّ مُنظَّماتٍ مسيحيَّةً ومُسلِمةً- لهو خَيرُ نموذجٍ من المُمكنِ مُحاكاتُه.

- قدِّم التَّعليمَ:

يقع على عاتقِنا مسئوليَّةُ تثقيفِ الجِهاتِ التَّابعةِ -وخاصَّةً قياداتِنا الدِّينيَّةَ في مُجتمَعاتِنا- من أجلِ التَّوعيَةِ من التَّطرُّفِ وكَيفيَّةِ الحِمايةِ مِنه، ويجِبُ أن نتعلَّمَ من التَّاريخِ أنَّ أيَّ تطرُّفٍ من أيِّ نَوعٍ يُحاوِلُ أن يَجعلَ الدِّينَ أداةً له، ومِن هُنا فإنَّني حريصٌ بشكلٍ خاصٍّ على أن نتحلَّى بالشَّجاعةِ لتحديدِ الآياتِ والمراجعِ المَوجودةِ في نُصوصِنا المُقدَّسةِ التي تُستخدَمُ لتَبريرِ العُنفِ القائمِ على مُعتقَداتٍ دينيَّةٍ.

وأعترِفُ لكم أنَّني أشعُرُ بعَدَمِ الارتياحِ في أوضاعٍ تتعلَّقُ بالحِوارِ بينَ الأديانِ؛ حَيثُ إنَّ هُناك تأكيدًا شديدًا على رسائلِ السَّلامِ في تقاليدِنا الدِّينيَّةِ دونَ إمكانيَّةِ القَبولِ أيضًا بتلك النُّصوصِ الأُخرى والتي يُمكِنُ أن تُفسَّرَ باعتبارِها تتغاضى عن -إن لم تكُن تدعو إلى- ارتكابِ أعمالِ عُنفٍ، أو تدعو صَراحةً للعُنفِ؛ فلنواجِهْ تلك النُّصوصَ التي تُستخدَمُ لتبريرِ العُنفِ.

وماذا سنفعَلُ مع تلك الإشاراتِ والمَراجعِ المَوجودةِ في النُّصوصِ المُقدَّسةِ؟

وماذا سنقولُ لوُعَّاظِنا أيامَ الجُمعةِ والأحدِ فيما يتعلَّقُ بتلك النُّصوصِ؟

لا يُمكِنُ أن نُحارِبَ التَّطرُّف الدِّينيَّ دونَ توفيرِ الأدواتِ للقياداتِ من أجلِ نقلِ وتفسيرِ تلك النُّصوص التي فُهِمت -صوابًا أو خطأً- في نُصوصِنا المُقدَّسةِ والتي تبدو أنَّها تتغاضى عن العُنفِ -إن لم تكن تدعو إليه-.

لقد بدأ الاتِّحادُ اللُّوثريُّ العالَميُّ العملَ مع العُلماءِ المُسلِمينَ في المُضيِّ قُدمًا في كَيفيَّةِ تفسيرِ النُّصوصِ المُقدَّسةِ، وأوَدُّ أن أرى هذه المُبادَرةَ تتنامى وتصيرُ مَحَلَّ نِقاشٍ على نطاقٍ واسعٍ.

- قدِّم الخدمةَ:

في عامِ ٢٠١٤م تبنَّت القياداتُ الدِّينيَّةُ من كلِّ أنحاءِ العالَمِ تقريرًا عُرِف باسم «أهلًا بالغُرَباءِ».

صدر هذا التَّقريرُ عن المُفوَّضيَّةِ السَّاميةِ للأُمَمِ المُتَّحِدَةِ لشُئونِ اللَّاجئينَ -بالاشتراكِ مع كلِّ الأطيافِ الدِّينيَّةِ- وتوصَّل إلى اقتناعٍ عامٍّ مفادُه مَوجودٌ في كلِّ الأطيافِ الدِّينيَّةِ أنَّ الغريبَ له حقُّ الحِمايةِ، وقد أصبحت هذه الوثيقةُ مُهِمَّةً جدًّا لنا في أوروبا للدِّفاعِ عن حقِّ حِمايةِ اللَّاجئينَ، وفي الوقتِ نفسِه أصبحت

أيضًا دعوةً للبَدءِ في العملِ معًا لإعانةِ المُحتاجينَ- لَيسَ فقطُ لأنَّ كلمةَ «سلامٌ» معروفةٌ لكلِّ أطيافِنا الدِّينيَّةِ، بل لأنَّ كلمةَ «حُبٌّ» مألوفةٌ لنا أيضًا.
ويعملُ الاتِّحادُ اللُّوثريُّ العالَميُّ -جنبًا إلى جنبٍ- مع المُنظَّماتِ الإسلاميَّةِ في الأُردُنِ وكينيا ونيبالَ لدَعمِ المُحتاجينَ.
تلك الخدماتُ المُشترَكةُ -وهذا عن تجربتي الشَّخصيَّةِ- تحمِلُ في طيَّاتِها عشراتِ التَّقاريرِ التي يُمكِنُ إصدارُها، فهل هُناك مِساحةٌ لمزيدٍ من مِثلِ تلك الأعمالِ المُشترَكةِ؟
- مكِّن الشَّبابَ:
وأوَدُّ أن أُنهيَ بياني بالإشارةِ إلى أهميَّةِ تمكينِ الشَّبابِ.
نعم، بإمكانِنا المُساعَدةُ في ذلك مِن خِلالِ تعليمِهم التَّعايُشَ السِّلميَّ في تناغُمٍ، وفي الواقعِ سوف يقومون بذلك إذا ما رأَوا آباءَهم وقياداتِهم وحُكماءَهم يقومونَ بذلك.
المُشكِلةُ ليست في الشَّبابِ اليَومَ، بل في القياداتِ وما يتعلَّمُه الشَّبابُ مِنهم.
ولكن المشكلة -بالنِّسبةِ لي- أكبرُ مِن ذلك؛ فنحنُ نعيشُ في عصرٍ يُهمَّشُ فيه الشَّبابُ بطريقةٍ مُنظَّمةٍ بعيدًا عن الآمالِ ووجهاتِ النَّظرِ .
سَعِدتُّ برؤيتِكم بَعدَ زيارةِ «دارِ السَّلامِ» مُنذُ أربعِ سَنَواتٍ- عِندَما أُشعِلت النَّارُ في كَنيسةٍ بضاحيةٍ فقيرةٍ، وقد أتى المُسلِمونَ والمسيحيُّونَ سويًّا وحلَّلوا المُشكِلةَ التي أدَّت لحُدوثِ تلك الحادثةِ.
ومن خلالِ تحليلِهم فإنَّ اندلاعَ العُنفِ كان سببُه الفقرَ ونقصَ وجهاتِ النَّظرِ والتَّهميشَ، وكلُّ ذلك جعلَ المُجتمَعاتِ -وأيضًا جعلَ الأجيالَ الشَّابَّةَ- عُرضةً لخِطاباتِ الكُرهِ والتَّعبئةِ والتَّطرُّفِ.
وهذا ليس أمرًا دراماتيكيًّا أن يبدوَ أنَّ التَّطرُّفَ يُقدِّمُ معنًى وأملًا للمُجتمَعاتِ المُهمَّشةِ أكثرَ مِمَّا تُقدِّمُه الأنظِمةُ السِّياسيَّةُ والاجتماعيَّةُ والاقتصاديَّةُ؛ لذا يحتاجُ الشَّبابُ لرؤًى من أجلِ حياتِهم كَي يُحِبُّوها وحياةَ الآخَرينَ، وإذا لم يصحبْ تعليمَ الشَّبابِ تمكينُهم فإنَّ ذلك التعليمَ لن يؤتي ثمارَه المَرجوَّةِ.
أصحابَ النِّيافةِ، أصحابَ السِّيادةِ والسَّعادةِ، شُركاءَ الحِوارِ الموقَّرون...
إنَّه لأمرٌ جيِّدٌ أن نأتيَ هُنا للتَّحدُّثِ عن السَّلامِ -وهذا ما يجِبُ علَينا فِعلُه- وبإمكانِنا القيامُ بما هو أكثرُ مِن ذلك.
***